السر وراء تراجع اللهجة محمد بن سلمان العدائية ضد إيران

في غمرة اندفاعه إلى صدارة المشهد السياسي قُبيل تنصيبه وليًا للعهد في بلاده أكد محمد بن سلمان بوضوح أن التناقض بين المملكة وإيران تناقض جذري وجودي لا يتعلق فقط بمواقف طهران بقدر تعلقه بطبيعة نظامها والأسس التي يقوم عليها.

انطلاقًا من هذه الحقيقة أكد ابن سلمان أن محاولات إقامة سلام مع إيران مجرد مضيعة للوقت، ولا سبيل للتعامل مع مثل هذه الأنظمة سوى المواجهة التي هدّد في ذلك الوقت بنقلها إلى الداخل الإيراني.

كان ذلك موقفًا ظل يمثل في نظر الكثيرين أساسًا في سياسة الرياض تجاه طهران، إلى أن عاد ابن سلمان مؤخرًا ليؤكد أن بالإمكان قبول إيران والتعامل معها إن التزامت بشروط حددها، وذلك خلافًا لتصريحاته السابقة التي توعد فيها بشن حرب على إيران.

"يد المملكة ممدودة بالسلام مع إيران"

"نعرف أن هدف النظام الإيراني الرئيسي هو الوصول إلى قبلة المسلمين، لن ننتظر حتى تصبح المعركة في السعودية، سوف نعمل لكي تكون المعركة لديهم في إيران وليس في السعودية"، هذا ما قاله ابن سلمان في زمن غير بعيد في مقابلة مع التليفزيون السعودي.

ويبدو أن ثمة من كان ينتظر هذا القول، فالتقط رسالة ابن سلمان باكرًا وأنتج له حربًا يحسمها وعدوًا يسحقه، بل وشعبًا على الضفة الإيرانية من الخليج يهتف باسمه، لكن ذلك كان في العالم الافتراضي، وأُنتج بتقنيات رسوم توضيحية متقدمة وبلغات عدة بينها العبرية.

لكن محاكاة الخيال تظل قاصرة على أن تكون مجرد أمنيات، فالواقع يقول إن السعودية اُستهدفت مرارًا، وقُصفت مطاراتها المرة تلو الأخرى بالصواريخ والطائرات المسيّرة، وضُربت خطوط نقل النفط بدقة في منطقة الرياض، أي عاصمة البلاد.

كان المتهم معروفًا حينها لدى ولي العهد السعودي، وهو الحوثيون رسميًا، ومن ورائهم إيران التي تتهمهما الرياض بالوقوف إلى جانبهم دعمًا وتسليحًا، وهذا يعني على الأرض أن المعادلة التي جهر بها الرجل القوي في المملكة بنقل الحرب إلى إيران قُلبت رأسًا على عقب، بينما لا تزال إيران كما كانت دولة قوية في الجوار وإن كانت محاصرة، وقادرة على الإيذاء وفق ما تُتهم به.

والحال هذه، ماذا يقول الأمير الشاب وولي العهد ووزير الدفاع في المملكة؟ للوهلة الأولى يذهب الظن إلى أنه سيُصعّد، وربما يرتدي الزي العسكري ويشرف على خطط الدفاع والهجوم، لكن الرجل اختار التهدئة على غير عادته وعادة المسؤولين السعوديين الذين يشاطرونه العداء لإيران وأذرعها العسكرية في المنطقة.

بالأمس القريب، التقته إحدى الصحف التي تمولها بلاده، وسألته عن موقف المملكة تجاه الاضطرابات الخطيرة التي تهدد أمن المنطقة وكيفية تعاملها مع هذا التصعيد، فأجاب بأن يد المملكة ممدودة بالسلام مع إيران لتجنيب المنطقة وشعوبها ويلات الحروب والدمار، ثم كررها في رده على سؤال آخر وأتبعها بقوله: "بما يحقق أمن المنطقة واستقرارها"، لكنه أضاف أنها "لن تتردد في التعامل مع أي تهديد للشعب وسيادته ومصالحه الحيوية".

"لا نريد حربًا في المنطقة"، عبارة لخص بها ابن سلمان حوارًا طويلاً مع صحيفة "الشرق الأوسط"، فبدا من خلالها ابن سلمان الذي وصفته يومًا صحيفة "إندبندنت" البريطانية بـ"العدواني والطموح والرجل

الأخطر في العالم"، أكثر مهادنة وبدت عباراته الدبلوماسية أكثر انتقاءً، فأين ذهبت التهديدات السابقة؟

يعني ذلك تعويمًا للموقف ليُفهم كما يريد المستمع أو المتلقي، وليس بأي حال موقفًا حاسمًا من أمير قدّم نفسه باعتباره "أمير للحسم"، لكن الحسم قد يكون في قوله إن بلاده تؤمن بأن على المجتمع الدولي أن يتخذ موقفًا حازمًا تجاه بما وصفه "النظام الإيراني التوسعي الذي يدعم الإرهاب وينشر القتل والدمار على مر العقود الماضية"، وأن على نظام الأخيرة أن يختار بين أن تكون بلاده دولة طبيعية وتتوقف عن دورها العدائي أو أن تكون دولة مارقة.

مواجهة إيران.. تجنب السيناريو الأسوأ

هل يرمي ابن سلمان بهذا القول الكرة في ملعب الآخرين وتحديدًا الولايات المتحدة؟ يبدو على الأغلب أن ذلك رهان الرجل وحلفائه في الإقليم، ويتمحور حول التخلص من القوة الإيرانية بالنيران الأمريكية، على أن تكون دول المنطقة وتحديدًا تلك المنضوية في الإستراتيجية الأمريكية مجرد صور في خلفية المشهد، أي أنها ربما تدفع وتموّل، لكنها لا تريد أن تتصدر المشهد إذا أصبح دمويًا وكارثيًا.

ويبدو أن تجنب السيناريو الأسوأ هو ما خلص إليه ابن سلمان الذي تُوضع قراراته في خانة التهور، ويعرفه الكثيرون باندفاعه غير المحسوب، فقد ورّط السعودية في أكثر من مأزق، بدءًا من حرب مستعرة في اليمن وضعت السعودية تحت مرمى الحوثي، وحتى جريمة اغتيال الصحفي السعودي جمال خاشقجي التي لم ينسها العالم بعد.

ويطرح ذلك وفق كثيرين معضلة أن تعجز الدولة عن الدفاع عن نفسها ومواجهة إيران بشكل مباشر حتى إن تسلحت حتى أسنانها، فالسعودية التي يصفها البعض بـ"القوة العظمى في الشرق الأوسط" أصبحت في أسوأ أوضاعها منذ عقود أمام قوة صغيرة العدد والعتاد تؤكد المملكة أنها مجرد ميليشيا محدودة القدرات.

الحديث هنا عن الحوثيين الذين يتقافزون الآن داخل أراضيها ويغنمون مواقع آليات ثقيلة للجيش السعودي ويقصفون مطارات ومدن، ورغم الضربات التي تعرضت لها مناطق حيوية بالسعودية على أيديهم على مدار الأسابيع القليلة الماضية، طرأ - وبشكل مفاجئ - تغيير في نبرة الوعيد والتهديد التي تبناها ابن سلمان تجاه إيران إلى نبرة هادئة تدعو للسلام.

في المقابل، يُختزل السلاح الأكثر تدميرًا للرياض في رؤية ابن سلمان وزيارته لجنوده في الحد الجنوبي، حيث يواجه هؤلاء عدوًا اُستهين به أكثر مما يجب فألحق الأذى بما يفوق أكثر التوقعات تشاؤمًا، لكن الأمير الزائر لا يقدم هنا حلولاً بقدر ما يرتجل خطابًا لرفع المعنويات، بينما يبدو الوضع على الأرض أسوأ وأكثر تعقيدًا لو أُضيفت طهران للحوثيين.

ورغم أن التصعيد الأخير في مياه الخليج يبدو فرصة سانحة أمام محمد بن سلمان للنيل من إيران، لكنه بدا أكثر ترددًا حتى وهو يحمّل طهران مسؤولية تفجير محطات النفط أو الاعتداء على الناقلات قبالة ميناء الفجيرة وفي خليج عُمان، ربما لأن اللعبة هذه المرة مع الكبار، فإي إستراتيجية ستعتمدها الرياض لمواجهة طهران إذا قررت تنفيذ ما هددت به يومًا في حال صحة تورط إيران في مهاجمة ناقلات النفط خليج عُمان وقبله في منطقة مقابلة للفجيرة في الإمارات؟

لا يُعرف بعد أي شيء عن خطط وُضعت أو اُعتمدت إلا ما اُختبر من خطاب إعلامي يتهرب من المواقع بتقنيات الرسوم التوضيحية فلا يقاربه ولا يواجهه، وهو ما راكم الهزائم ولم يحقق أي انتصار يُذكر.

السر وراء تراجع اللهجة العدائية مع إيران

على عكس ما بدا في تصريحات ابن سلمان من تحول جذري في المواقف تجاه إيران، تبارى بعض المؤيدين لسياسات المملكة في قراءة الرسائل التي ترغب السعودية في توجيهها إلى المجتمع الدولي، متجاهلين النبرة المختلفة التي تحدث بها ولي العهد للمرة الأولى منذ ظهوره في المشهد السياسي السعودي.

في المقابل وعلى عكس ما يراه هؤلاء من اتساع رقعة رسائل ابن سلمان، تبدو تصريحات ولي العهد السعودي في المقابلة موجهة بالدرجة الأولى للداخل السعودي، وذلك لاعتبارات كثيرة منها الترويج لانتصاراته "الزائفة" بصد هجمات الحوثيين خاصة بعد تعرض بلاده خلال الأيام القليلة الماضية لهجمات بمناطق حيوية مثل مطار أبها وأرامكو.

أمّا التغير السريع في اللهجة العدائية الصدامية مع إيران، فيراها البعض دليلاً على ارتباكه وتأكيدًا على ضعف موقف الرياض في مواجهة إيران بمفردها، وهو ما دفع ولي العهد السعودي للاستنجاد بالمجتمع الدولي في موقف قريب من آخر دعت فيه الولايات المتحدة المجتمع الدولي لاتخاذ موقف حازم من إيران.

وفي استجداء السعودية الآخرين للدفاع عنها ما يدعو للسخرية، خاصة في وقت تهدد وتتوعد فيه بالرد على ما تسميها استفزازات إيران، ويثير التساؤلات عن عجز دفاعات السعودية عن التصدي لهجمات الحوثيين المتكررة والدقيقة، رغم بساطة صواريخهم بالمقارنة مع الأسلحة الحديثة الباهظة التي تمتلكها السعودية.

وفي حين يبدو أن آخر ما تريده المملكة - وفق كلام ابن سلمان الأخير - هو حرب مع إيران وفتح جرح جديد قد لا تقتصر آلامه على منطقة الخليج فقط، فإن ذلك لا ينفصل عن المواقف الأمريكية المتذبذبة أيضًا بشأن العلاقة مع طهران من التهديد بالتصعيد العسكري إلى الحديث عن قبول مبدأ الحوار والتسوية السياسية.

ولعل ما يؤكد الارتباط السعودي بالنبض الأمريكي في هذا الشأن تلك التصريحات التي أدلى بها ترامب منذ أسابيع قليلة في حضرة رئيس الوزراء الياباني شينزو آبي في طوكيو، وتبنى فيها لهجة تصالحية بالتوازي مع الحشود العسكرية الأمريكية التي تجوب بر المنطقة وبحرها، بل غازل ترامب إيران حينها بقوله إن طهران تريد إبرام صفقة مع بلاده، وهناك إمكانية لذلك.